بسم الله الرحمن الرحيم

صفة مساجد ضرار التي يجب اعتزالها

بقلم الشيخ؛ أبي بصير

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

وبعد:

فقد كثر في الآونة الأخيرة الحديث عن مساجد ضرار - التي يجب اعتزالها - وعن صفاتها وغاياتها وبواعثها، وخاض الخائضون في المسألة بعلم وبغير علم.. وجنح بعضهم إلى الإفراط والغلو والتشدد؛ فحكموا على مساجد المسلمين لظنون وشبهات واهية ضعيفة لا ترقى إلى درجة الدليل بأنها مساجد ضرار، وأن الصلاة فيها لا تجوز!

فانعكس ذلك سلباً على أخلاق وسلوك وعبادة المسلمين، فتُركت الجمعة والجماعات، وهجرت المساجد - على قلتها في بلاد الغرب - من المصلين.. حتى أصبح من المألوف على المسامع إن سألت أحدهم عن سبب هجره للمساجد والجماعات العامة - رغم مجاورته للمسجد - بأن يقول لك - بكل بساطة - إنها مساجد ضرار، لا تجوز الصلاة فيها!

ولو وقف الأمر على هجره للمساجد بنفسه لهان الخطب، ولكنه لا يكتفي بذلك حتى يشنع على غيره من إخوانه ممن لا يرى رأيه ولا يذهب مذهبه في مساجد المسلمين، فيرميه بالتخاذل والتهاون وغير ذلك من عبارات التجريح والطعن إلى أن يحمله على هجر المساجد التي هي في ظنه ضرار!

فاتسع الخرق، وعم الخطب، وازداد الخطر، واضطرب الشباب - بين مؤيد ومعارض ومتسائل - خوفاً على صحة صلاتهم وعبادتهم.. كل ذلك مما حدانا للكتابة في الموضوع وبحث المسألة بإنصاف وتجرد عن مذاهب ومشارب أهل الإفراط والتفريط، أهل الغلو والجفاء سواء، سائلين الله تعالى السداد والتوفيق.. فإن أصبت فمن الله تعالى وفضله ومنّه الواسع، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأنا أبرأ إلى الله تعالى منه وأتوب.

أقول: مرد الحكم على الأشياء إلى الله ورسوله فقط لا غير، وهذا من لوازم وشروط صحة التوحيد والإيمان، كما قال تعالى: **{فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر}** النساء: 59. وقال تعالى: **{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما}** النساء: 65.

من هنا نجد لزاماً على أنفسنا جميعاً أن نرد المسألة المثارة للبحث إلى الكتاب والسنة، لنرى ماذا يقول فيها ربنا عز وجل وماذا يحكم في مسجد ضرار، ومن هو مسجد ضرار، وما هي صفاته ووظيفته، وما هي غاياته وبواعثه، وبالتالي على أي المساجد يمكن أن يُجرى ويسحب عليها وصف وحكم الضرار؟

قال تعالى: **{والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب اللهَ ورسولَه من قبل وليَحلفنَّ إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنّهم لكاذبون. لا تقم فيه أبداً لمسجدٌ أسس على التقوى من أول يوم أحقّ أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطّهرين}** التوبة: 107-108.

لكي يتضح المعنى جلياً لا بد من أن نذكر السبب الذي نزلت فيه هذه الآيات والأشخاص الذين نزلت فيهم.

أطبقت كتب التفسير على أن هذه الآيات نزلت في رجل جند نفسه لحرب الله ورسوله، ولم يدع حرباً ضد الرسول صلى الله عليه وسلم إلا وقد شارك فيها وهو **أبو عامر الراهب**، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق، وكان مما فعله هذا الرجل أنه التجأ إلى هرقل

ملك الروم يستنجده العون لقتال النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلى أصحابه من المنافقين في المدينة وكان عددهم اثنا عشر رجلاً أن يبنوا له مسجداً ضراراً وإرصاداً؛ أي ترقباً وانتظاراً لقدومه مع جيش الروم يستخدمه كقاعدة لحرب الله ورسوله والمؤمنين، إضافة للمهام الأخرى التي ذكرتها الآية الكريمة، والتي سنأتي على بيانها - إن شاء الله - بشيء من التفصيل.

<u>وإليك أقوال بعض أهل العلم والتفسير فيما تقدم:</u>

قال ابن جرير الطبري في التفسير 6/470: (فتأويل الكلام: والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفراً بالله لمحادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفرقوا به المؤمنين، ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا، **{وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل}**، يقول: وإعداداً له لأبي عامر الكافر، الذي خالف الله ورسوله، وكفر بهما، وقاتل رسول الله، **{من قبل}** يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد؛ وذلك أن أبا عامر هو الذي كان حزَّب الأحزاب لقتال رسول الله، فلما خذله الله، لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبي الله، وكتب إلى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه فيما ذُكر عنه ليصلي فيه فيما يزعم، إذا رجع إليهم، ففعلوا ذلك، وهذا معنى قول الله جل ثناؤه: **{وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل}**.

وعن ابن عباس قوله: **{والذين اتخذوا مسجداً ضراراً}**، وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، واستعدوا بما استطعتم من قوةٍ ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجندٍ من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة! فأنزل الله فيه: **{لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يومٍ أحقُّ أن تقوم فيه}**.

وقال - أي ابن عباس -: قوله **{لمن حارب الله ورسوله}** يعني رجلاً منهم يقال له أبو عامر، كان محارباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد انطلق إلى هرقل، فكانوا يرصدون إذا قدم أبو عامر أن يصلي فيه، كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم، وكان قد خرج من المدينة محارباً لله ورسوله.

وعن مجاهد: **{والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً}** قال: المنافقون، **{لمن حارب الله ورسوله}**، لأبي عامر الراهب). انتهى كلام ابن جرير، والاقتباس من تفسيره.

قال ابن كثير في التفسير 2/402: (سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يُقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدمو عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان.. وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى، وشُج رأسه صلوات الله وسلامه عليه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يُسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيداً طريداً فنالته هذه الدعوة؛ وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له **معقلاً** يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك،

وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم من أهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: (إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله " فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض اليوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من **الكفر والتفريق** بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس في أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد مَن هدمه قبل مقدمه المدينة، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية: هم أناس من الأنصار بنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجداً واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم وأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة، فأنزل الله عز وجل **{لا تقم فيه أبداً}** إلى قوله **{الظالمين}** وكذا روي **عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعروة بن الزبير، وقتادة وغير واحد من العلماء).** انتهى.

وقال القرطبي في التفسير 8/257ـ (**{وإرصاداً لمن حارب اللهَ ورسوله}** يعني أبا عامر الراهب؛ وسُمي بذلك لأنه كان يتعبد ويلتمس العلم فمات كافراً بقنَّسرين بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لا أجد قوماً يقاتلونك **إلا قاتلتك معهم**؛ فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن خرج إلى الروم يستنصر، وأرسل إلى المنافقين وقال: **استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا مسجداً** فإني ذاهب إلى قيصر فآت بجند من الروم لأخرج محمداً من المدينة، فبنوا مسجد الضرار). انتهى.

ونحو الذي قاله الطبري، وابن كثير، والقرطبي قاله غيرهم من أهل العلم والتفسير في كتبهم، والذي دعانا إلى هذا التفصيل النسبي في ذكر سبب نزول آيات مسجد الضرار هو **أن يدرك القارئ خطورة مسجد ضرار** الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه وحرقه، وحجم المؤامرة الضخمة التي كانت تحاك من وراء بناء هذا المسجد المذكور، حتى إن أراد القياس عليه يحسن

القياس والتقدير، وهذا أمر مهم جداً لكل من أراد أن يبحث ويدقق في شأن مساجد الضرار..

وليعرف القارئ كذلك أن الـذي بنـى مسـجد الضـرار هم المنافقون إرصاداً وترقباً لمقدم أبي عامر الكافر ومعه جند الروم ليكون لهم قاعدة و**معقلاً** - كما سماه ابن كـثير - ينطلقون منه لحـرب الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم.. وليس أن الذي بنى المسجد هو أبو عامر كما ذُكر في بعض المقالات! والفرق بين الأمرين والنقلين مـن حيـث الدلالـة علـى حجـم خطـورة مسـجد ضـرار الـذي اسـتحق الهـدم والحرق واضح لكل ذي بصر وبصيرة.

بواعث وغايات ومهام مسجد الضرار
الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه وحرقه

تتلخـص بـواعث وغايـات ومهـام مسـجد ضـرار كمـا ذكرتها الآيات القرآنية في أربعة نقاط، وهي:

أولاً: **الإضرار والضرر**، كما قال تعالى: **{والذين اتخـذوا مسـجداً ضـراراً}**، فكلمـة **{ضـراراً}** جـاءت بصيغة المفعول لأجلـه؛ أي مـا حملهـم علـى بنـاء المسـجد

شيء إلا من أجل إنـزال الضـرر والأذى بالمسـجد المجـاور لهم الذي أسس على التقوى من أول يوم من إنشائه؛ وهـو مسجد قباء

وقيل هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، ولإنزال الضرر كـذلك بالجماعـة المسـلمة المؤمنـة والـتي على رأسها النبي صلوات ربي وسـلامه عليـه.. فهـم ليـس لهم رغبة وهدف من وراء بناء هـذا المسـجد سـوى الضـرر والإضرار، وطلبه والسعي لتحقيقه!

ولا يُسمى الشيء ضراراً إلا إذا عُدم نفعه وكان شـراً وضرراً محضاً كما هو حال مسجد ضـرار المـذكور، أو كـان ضرره يرجح على نفعه وخيره، كالخمر والميسر.. وفـي كلا الحالتين الضرر يُزال ولا يُزال بمثله أو أكثر منه.

كما في الحديث: (لا ضـرر ولا ضِـرار، مـن ضـار ضـار الله بـه، ومـن شـاق شـاق اللـه عليـه). والقاعـدة الفقهيـة تقول: (**الضرر يُزال**).

وفـي معنـى الضـرر والضِـرار يقـول القرطـبي فـي التفسير 8/254ـ (قال بعض العلماء: الضرر الـذي لـك بـه منفعة وعلى جارك فيه مضرة. **والضرار الذي ليس لـك فيه منفعة وعلى جارك فيه المضرة**. وقـد قيـل هما بمعنى واحد، تكلم بهما جميعاً على جهة التأكيد). انتهى.

وقال ابن الجوزي في زاد المسـير 3/500ـ (ضـراراً انتصـب مفعـولاً لـه، المعنـى: اتخـذوه للضـرار.. قـال المفسرون والضرار بمعنى المضارة لمسجد قباء). اهـ.

وفي روح المعاني للألوسي 11/17: (ضراراً؛ مفعول له وكـذا مـا بعـده.. وقيـل مفعـول مطلـق لفعـل مقـدر أي يضـارون بـذلك المـؤمنين ضـراراً، والضـرار طلـب الضـرر ومحاولته). اهـ.

ثانياً: مـن الغايـات كـذلك الـتي بنـي لأجلهـا مسـجد ضـرار **الكفـر بـالله ورسـوله**، وتقويـة للكفـر وأهلـه، ومحاربة لله ولرسوله وجماعة المؤمنين، وذلك باستخدامه كقاعدة للمنافقين وماوى لهم يُحيكون فيه المؤامرات على

[1] قال ابن جرير الطبري في التفسير: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله. اهـ.

الدولة المسلمة الفتية، وكذلك لكي يكون مقراً لأبي عامر الكافر ومن معه من جند الروم عندما يصلون إلى المدينة المنورة ليخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها، فهم بنوا المسجد وأرادوا منه إضافة للضرار **الكفر بالله ورسوله**، والانتصار للكفر وأهله، كما قال تعالى: **{والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً.. }** فقوله: **{وكفراً}** معطوف على ضرار؛ أي من أجل الكفر والإلحاد والمحاربة، فهم أضمروا هذه النية الخطيرة في قلوبهم منذ اللحظة الأولى من بنائهم وتأسيسهم لمسجدهم المشؤوم.

قال البغوي في التفسير: (**{وكفراً}** بالله ورسوله). اهـ.

وفي روح المعاني للألوسي: **((وكفراً}** أي ليكفروا فيه، وقدر بعضهم التقوية أي وتقوية الكفر الذي يضمرونه). اهـ.

وفي فتح القدير للشوكاني 2/403ـ (فقد أخبر الله سبحانه أن الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة: الأول الضرار لغيرهم، وهو المضارة. والثاني **الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام؛** لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق..) اهـ.

وفي تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 11/39، أرادوا: (الكفر أو تقوية الكفر، وتسهيل أعماله من فعل وترك، كتمكين المنافقين من ترك الصلاة هنالك مع خفاء ذلك على المؤمنين لعدم اجتماعهم في مسجد واحد، والتشاور بينهم في الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك). اهـ.

ثالثاً: من البواعث والغايات التي أرادوها من وراء بنائهم لمسجد ضرار - إضافة لما تقدم - **تفريق جماعة المسلمين** إلى جماعات؛ ليقللوا عدد الذين يجتمعوا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك مسجد قباء، وفي ذلك فيه ما فيه من إضعاف للشوكة، وتشتيت للكلمة، وإبعاد للمسلمين عن التأثر والتوجيه المباشر من شخص النبي صلى الله عليه وسلم.. إضافة إلى التقليل من سواد المسلمين في الجماعة الواحدة، والذي يُعتبر ذلك - أي تكثير السواد في الجماعة

الواحدة - مطلباً من مطالب الشريعة، ومقصداً هاماً من مقاصد صلاة الجماعة.

وفي قوله تعالى: **{وتفريقاً بين المؤمنين}**، قال الشوكاني: (لأنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة مالا يخفى). اهـ.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: (كانوا يصلون في مسجد قباء جميعاً، **فأرادوا تفريق جماعتهم**) اهـ.

وقال البغوي في التفسير: (لأنهم كانوا جميعاً يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة) اهـ.

وقال القرطبي في التفسير: **((وتفريقاً بين المؤمنين}** أي يفرقون به جماعتهم **ليتخلف أقوام عن النبي صلى الله عليه وسلم.** وهذا يدلك على أن المقصد الأكبر والغرض الأظهر من وضع الجماعة تأليف القلوب والكلمة على الطاعة، وعقدُ الذمام والحرمة بفعل الديانة حتى يقع الأنس بالمخالطة، وتصفو القلوب من وضَر الأحقاد) ([2]) اهـ.

رابعاً: **{وإرصاداً لمن حارب اللهَ ورسولهَ من قبل}**؛ أي ترقباً وانتظاراً لمقدم من حارب الله ورسوله من قبل أن يبنى مسجد الضرار، وهو أبو عامر الفاسق الذي جند نفسه لمحاربة الله ورسوله، وكان قد خاض الحروب العديدة ضد النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبني مسجد الضرار. والذي كان قد وعدهم ومناهم بأنه سيأتي ومعه جيش الروم ليخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة المنورة!

فطلب منهم تمهيداً لذلك أن يبنوا له مسجداً - في الظاهر - ليستغله كقاعدة عسكرية ينطلق منه لحرب

---

[2] في ذلك عظة وعبرة لكثير من الناس الذين يحرصون أن لا يصلوا إلا في مكانٍ معين ربما لا تتوفر فيه صفات المسجد الجامع، متجاوزين في ذلك الأميال الكثيرة والمساجد الجامعة عصبية لشيخ معين، أو لطريقة معينة عليها ذلك الشيخ أو المكان.. حتى أنهم يُعرفون بنسبتهم إلى ذلك الشيخ أو المكان، وفي ذلك من التفرق وبذر بذور الاختلاف والتفرق والضغائن بين المسلمين مالا يخفى على أحد.

الإسلام والمسلمين.. فهو مسجد في الظاهر، لكنه في حقيقة أمره **قلعة من قلاع الحرب والمكر والكفر**!

قال البغوي في التفسير: (أرسل أبو عامر الفاسق إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتِ بجندٍ من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله تعالى: **{وإرصاداً لمن حارب اللهَ ورسوله من قبل}**، وهو أبو عامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام. قوله **{من قبل}** يرجع إلى أبي عامر؛ يعني حارب الله ورسوله من قبل أي من قبل بناء مسجد الضرار). اهـ.

وفي زاد المسير لابن الجوزي: (الإرصاد؛ الانتظار، فانتظروا به مجيء أبي عامر، وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار). اهـ.

وقال محمد رشيد رضا في التفسير: (الإرصاد لمن حارب الله ورسوله من قبل اتخاذ هذا المسجد، أي الانتظار والترقب لمن حارب الله ورسوله أن يجيء محارباً، **فيجد مكاناً مرصداً له**، **وقوماً راصدين مستعدين للحرب معه**، وهم هؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد مرصداً لذلك.

واتفق المفسرون على أن الذي أغراهم ببناء هذا المسجد لهذا الغرض رجل من الخزرج يُعرف بأبي عامر الراهب، وعدهم بأن سيأتيهم بجيش من الروم لقتال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه). اهـ.

قلت: هذا المسجد بصفاته وغاياته وأهدافه الهدامة الخطيرة - الآنفة الذكر - هو مسجد الضرار، وهو المسجد الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه وحرقه، ونهى عن الصلاة فيه.. **فهل هكذا هي المساجد التي يشار إليها في زماننا بأنها ضرار؟!!**

مسجد الضرار الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه وحرقه، واعتزاله - من خلال أهدافه وغاياته وبواعثه المبينة من قبل - لم يُنشأ لغرض العبادة أو التعبد، وإنما هو في حقيقته **معقلاً وقلعة عسكرية** من قلاع الحرب والكفر والنفاق يُنطلق منها لحرب الله ورسوله.. **فهل**

هكذا هي المساجد في زماننا التي يشار إليها بأنها ضرار؟!!

الخلاصة وبيان الحكم

من خلال ما تقدم نقول: أيما مسجد يكون الباعث على بنائه الغايات والأهداف الثابتة لمسجد الضرار الأول - الآنفة الذكر - أو بعضها، أو إحداها.. فهو مسجد الضرار الذي يجب إعتزاله، وعدم الصلاة فيه، لقوله تعالى: {لا تقم فيه أبداً} أي لا تقم فيه للصلاة..

ولا يكون المسجد ضراراً لمجرد اتصافه بصفات مسجد الضرار إلا إذا كانت هذه الصفات والغايات مبيتة ومضمرة قبل بناء المسجد، أما إذا بني المسجد على التقوى ثم طرأ عليه غلبة الكفر وأهله، واستغل المسجد لبعض غايات مسجد الضرار فإنه لا يُعتبر في ذلك الحين مسجد ضرار ولا يأخذ حكمه ولا اسمه، لأن العبرة في ذلك القصد والنية المبيتة الباعثة على البناء قبل البناء وليس بعده، وهذه مسألة سنعود إليها إن شاء الله.

قال ابن القيم في زاد المعاد 3/571: (لما كان بناؤه - أي مسجد ضرار - ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين، ومأوى للمنافقين، وكل مكان هذا شأنه، فواجب على الإمام تعطيله إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وُضِع له). اهـ.

توسع لا دليل عليه

قد ألحق بعض أهل العلم - كالزمخشري وغيره! - باعثاً آخر على بناء المسجد يلحقه بوصف وحكم مسجد الضرار، وهو قصد **الرياء والسمعة** من بناء المسجد، فقالوا: من بنى مسجداً رياءً فحكمه حكم مسجد ضرار.. وقد تابعهم على هذا القول بعض طلاب العلم المعاصرين - ونشروه بين الناس - وقاسوا عليه قياسات باطلة، ترتب عليها إدخال ما لا يجوز إدخاله من المساجد التي بناها المسلمون على أنها مساجد ضرار!!

<u>أقول: هذا توسع لا يصح، وهو مردود من أوجه:</u>

منها، لانتفاء الدليل من الكتاب والسنة الذي يدل على أن الرياء من الصفات التي تحيل المسجد إلى وصف وحكم مسجد الضرار..

ومنها، أن حرمة مال المسلم - الذي منه يبنى المسجد - مصانة بأدلة محكمة من الكتاب والسنة، لا يجوز معارضة هذه الأدلة وردها وإبطالها بقول لآحاد من أهل العلم!

فمال المسلم مصان بالدليل، فكيف تنتهك حرمته بغير دليل؟!

ومنها، الرياء موضعه القلب لا يمكن معرفته بيقين والجزم به؛ فكم من مظهر لعمله لا يكون مرائياً وكم من مخفٍ لعمله يظهره من طرفٍ خفي يكون مرائياً عند الله تعالى، وكم من امرئٍ يترك العمل رياءً وحتى لا يقال عنه مراءٍ وهذا باب واسع لا يحيط به إلا الله تعالى.. لذا فقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم: (**شرك السرائر**..

والشرك الخفي). لحجبه عن أعين الناس وعلمهم، وربما عن صاحبه نفسه.

فإن قيل: يمكن معرفة الرياء من خلال قرائن تدل عليه!

أقول: هذه القرائن لا ترقى أن تكون ظنية، والظن لا يغني من الحق شيئاً.. والأحكام - وبخاصة منها مسألتنا هذه - لا تبنى على الظن، وليس بالظن تنتهك الحرمات، وتعتزل المساجد وتهدم وتحرق.

ومنها، أن المؤمن من طبعه أن تسره الحسنة، ويعجبه ثناء الصالحين عليه بالخير لأنهم هم شهداء الله في الأرض، وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)، ومثل هذا السرور والرضى قد يفسر عند كثير من الناس بأنه رياء.. فيبنون على ذلك التصور الخاطئ الأحكام الجائرة، وتهجر المساجد، ويتسع الخرق إلى حد يصعب ترقيعه أو سده!

ومنها، أن حجة الرياء قد تكون ذريعة لكل منافق أو ضعيف الإيمان تحمله على هجر المساجد والجماعات، وربما ترك الصلاة.. فإن سألت أحدهم عن سبب تركه للجماعة وهجره للمسجد الذي قد يكون مجاوراً له، يقول لك أنا أعرف من باني هذا المسجد مالا تعرف، فقد بناه وأراد من بنائه الرياء.. وهكذا تحت ذريعة الرياء تهجر المساجد والجماعات!!

ومنها، انعدام الموازين التي من خلالها يضبط ويوزن ويُعرف الرياء، والتي يمكن أن تكون محل اتفاق عند جميع العقلاء.. فالعمل الذي تفسره أنت على أنه رياء، قد يفسره غيرك على أنه صدع بالحق، وأمر بالمعروف ونهي عن والمنكر.. أو هو خشوع صادق، أو عمل صادق، ومثل هذا التباين لو عمل به لأفضى إلى الفرقة والتنازع والاختلاف، وبخاصة في مسألة كمسألة مسجد الضرار.

ومنها، أن مثل هذا التوسع في إصدار الأحكام على المساجد بأنها ضرار ينعكس على المسلمين وأطفالهم وحياتهم سلباً، وبخاصة الذين يعيشون في أوربة والتي تُعرف بقلة المساجد فيها، حتى أن المسلمين لقلة المساجد يلجأون إلى إقامة الجمعة والجماعات في أماكن

تحوَّل بعد الصلاة مباشرة إلى دور للفسـق وشـرب الخمـر والعهر، وإحياء المنكرات!!

أيعقل في مثل هـذا الواقـع المـؤلم الحـرج أن يُضـيق على العباد أكثر مما هم فيه من ضيق وعسر ويقـال لهـم لا يجوز لكم أن تصلوا في هذه المساجد لاحتمال شبهة وجـود الرياء؟!!

لا يجوز أن تأخذوا أطفـالكم إلـى هـذه المسـاجد، مـع علمهم أن البديل عنها ستكون الأنديـة والأسـواق الماجنـة، ومصـاحبة أقـران السـوء، والجلـوس أمـام شاشـة التلفـاز الساعات الطوال ليسـتقبلوا السـموم المـدمرة الـتي تبـث إليهم عبر القنوات المحلية والفضائية!

والقاعـدة الفقهيـة تقـول: (**إذا ضـاقت اتسـعت**)، وليس إذا ضاقت ضاقت واشتدت ضيقاً وخناقاً وشدة!

والله تعالى يقول: **{فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً}** الشرح: 5-6. فليس من الدين والفقـه أن نُتبـع العسـر عسـراً وشـدة.. فالعسـر دائمـاً يتبعـه اليسـر والسعة - من غير تفريط - إلى أن يُرفـع الحـرج عـن الأمـة والعباد.

ومنها، أن صلاة الجماعة وما يلحق بها من مقاصـد شرعية عظيمة وهامة، إلى درجة أن النبي صلى اللـه عليـه وسلم قد همَّ بأن يحرق بيـوت المتخلفيـن عنهـا لـولا وجـود الأطفال والنساء فيهـا.. لا يمكـن أن تعطـل هـذه المقاصـد الشرعية كلهـا مـن أجـل شـبهة الريـاء الـتي لا ترقـى إلـى مستوى الدليل الصحيح!!

مسائل هامة لها علاقة بالموضوع

* * *

المسألة الأولى: مسجد بني على التقوى ثم طرأت عليه صفات مسجد الضرار أو بعضها، فهل له حكم مسجد ضرار؟

الجواب: المسجد الذي يؤسس على التقوى ثم تطرأ عليه بعض صفات مسجد الضرار، لا يتحول إلى مسجد ضرار، ولا يأخذ حكمه ولا وصفه.. ودليل ذلك مسجد الحرم المكي فقد أسس على التقوى والتوحيد، وعلى يد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.. ثم بعد ذلك طرأ عليه الكفر والشرك، ونصبت فيه الأوثان لتعبد من دون الله، واستغله كفار قريش كقاعدة لحرب النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه من أصحابه وغير ذلك.. فرغم كل هذا التغيير الذي طرأ على المسجد الحرام لم يحوله إلى مسجد الضرار، ولم يأخذ حكمه ولا اسمه ولا وصفه، بل كان يصلي فيه النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر أصحابه أن يصلوا فيه، وكان ولا يزال، ولن يزال أفضل وأشرف بقعة على وجه الأرض يتعبد فيها لله عز وجل.

وكذلك رغم استيلاء زنادقة القرامطة على الحرم المكي لفترة طويلة وأخذهم للحجر الأسود، - كما يحدِّث بذلك ابن كثير وغيره من المؤرخين - لم يتوقف العباد والعلماء عن الصلاة فيه، وما أشار أحد من أهل العلم أن الحرم المكي قد أصبح بسبب استيلاء القرامطة عليه مسجد ضرار لا تجوز الصلاة فيه!

وحصل مثل ذلك في التاريخ البعيد والقريب الشيء الكثير لبيوت الله عز وجل وفي أماكن متعددة ومختلفة، وما أحد من أهل العلم نص على أنها أصبحت بذلك مساجد الضرار.

* * *

المسألة الثانية: مسجد يؤسس على التقوى ثم يظهر أنه يحقق ضرراً أكيداً لمسجد جامع بجواره، فهل يكون بذلك مسجد ضرار؟

الجواب: لا يكون مسجد ضرار؛ لأنه لم يؤسس على نية وقصد الضرر.. ولكن ذلك لا يمنع من أن يُزال الضرر المتحقق من غير زيادة ولا نقصان، لأن الضرر يُزال، ولا يُزال بمثله ولا أكثر منه.

* * *

المسألة الثالثة: هل من الممكن أن نحكم في زماننا على مساجد بأعيانها بأنها ضرار؟

الجواب: نعم يمكن أن يحكم على مسجد بعينه أنه مسجد ضرار، ولكن بشرطين، هما:

أولاً: أن يتم التثبت بيقين - وليس بالظن - أن هذا المسجد كان الباعث على بنائه وقيامه

تحقيق الغايات - أو بعضها - التي بني لأجلها مسجد الضرار الأول. فإذا انتفت المقدرة على التثبت والتحقق من ذلك، أو جهلت الغاية من بناء هذا المسجد بسبب وفاة

من قام على بنائه أو غير ذلك.. لا يجوز أن يُحكم عليه بأنه ضرار.

ثانياً: أن يقوم بمهمة التحري والتثبت من واقع المسجد المشار إليه ومن ثم بيان الحكم عليه

العلماء العاملين الأتقياء؛ لأن البحث في واقع المسجد - هل بني على الضرار أم لا - من الأمور الخفية التي تتعلق بالنيات والبواعث على البناء، ومن ثم الإلمام بالقرائن والأدلة الدالة على تلك البواعث والنيات.. كل ذلك وغيره يحتاج إلى بحث واجتهاد وتثبت ومعرفة دقيقة بواقع المسألة وبالأدلة الشرعية عليها. وبالتالي لا نرى لعوام الناس أن يشغلوا أنفسهم بإطلاق الأحكام على بيوت الله بأنها ضرار؛ لما يترتب على ذلك من نتائج وآثار لا تحمد عواقبها!!

فبيوت الله - يا عبد الله - لها حرمة وحق، وهي من شعائر الله التي ينبغي لها التعظيم والتوقير، وتعظيمها من تقوى القلوب وعلامة عليه، كما قال تعالى: **{ذلك ومن يُعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه}** الحج: 30. وقال تعالى: **{ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب}** الحج: 32.

ثم لأن تُلقي في بيوت الله القاذورات والأوساخ، وتكون عندك موضعاً للتبرز والتبول.. لهي أهون عليك - من حيث الوزر والإثم - من أن تحكم عليها ظلماً وجهلاً بأنها ضرار!

فالأول ينتهك بعض حرمات المسجد.. بينما الآخر الذي يحكم على المسجد ظلماً وعدواناً بأنه ضرار **فإنه ينتهك جميع حرماته بغير وجه حق**!

* * *

<u>المسألة الرابعة: هل يجب هدم وحرق مساجد ضرار؟</u>

الجواب: مرد الأمر إلى الإمام أو من ينوب عنه من أمراء الجند والجهاد من ذوي الشوكة والقوة والمنعة، فإن رأى من المصلحة والسياسة الشرعية حرقه وهدمه يُحرق

ويهدم، وإن رأى من المصلحة أن يغير صورته ويخرجه عما وضع له فله ذلك كذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: (فواجب على الإمام تعطيله، إما بهدم وتحريق، **وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له**). اهـ.

قلت: وبخاصة إن كان هذا المسجد كبيراً قد كلف تشييده وبناؤه ملايين الدولارات.. فإن الإقدام على هدمه وحرقه قد يفتن الناس عن دينهم، وتحصل من جراء ذلك فتن ومضار أكبر من المفسدة التي يراد إزالتها؛ ففي مثل هذه الحالة لا شك أنه من الأحسن والأسلم أن تغير صورته ووظيفته، ويوضع لما فيه مصالح العباد والبلاد.

وفي السنة ما يدل على اعتبار ذلك: فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد امتنع عن هدم الكعبة وبنائها من جديد على قواعد إبراهيم عليه السلام بسبب أن أهل مكة كانوا حديثي عهد بالإسلام، فخشي عليهم الفتنة، وأن لا يتحملوا رؤية الكعبة وهي تتهدم!

<u>المسألة الخامسة: هل انحراف الإمام الراتب للمسجد يؤثر على المسجد ويحيله إلى مسجد ضرار؟!</u>

الجواب: لا يتأثر المسجد بانحراف إمامه عن الحق والصواب، ولا يحيله ذلك إلى مسجد ضرار، كما لا يتأثر لو اعتاده أناس من أهل الأهواء والبدع.. حيث يبقى له وصفه وحكمه الذي أنشئ عليه من أول يوم.

فكما أن مسجد الضرار لو صلى فيه التقي وكان فيه إماماً راتباً للناس لا يرفع عنه وصف الضرار وحكمه، كذلك المسجد الذي أسس على التقوى لو صلى فيه المبتدع المنحرف كإمام راتب للناس لا يرفع عنه وصفه وحكمه كبيت من بيوت الله ينبغي لها التعظيم.

لكن انحراف الإمام على نوعين:

نوع يكون فيه كافراً؛ وذلك عندما يقع في الكفر البواح من غير مانع شرعي معتبر.. فحينها يجب اعتزال الصلاة خلفه، دون اعتزال الصلاة في المسجد؛ فالصلاة

خلفه لا تجوز ولا تصح، بينما صلاته في المسجد تجوز وتصح.

ونوع يكون فيه مبتدعاً فاسقاً لا يرقى به انحرافه إلى درجة الكفر البواح، ففي مثل هذه الحالة تجوز الصلاة في المسجد وخلف هذا الإمام المبتدع المنحرف ([3])، وبخاصة إن خشي فوات الصلاة مع الجماعة فحينها تتعين عليه الصلاة خلفه، ولا يمنع انحرافه من ذلك.

قال ابن حزم في المحلى 3/129: (عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه دخل على عثمان رضي الله عنه وهو محصور، فقال له: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج، فقال له عثمان: إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس فإذا أحسن الناس فأحسن معهم؛ وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم.

وكان ابن عمر يصلي خلف الحجاج، ونجدة: أحدهما خارجي، والثاني أفسق البرية!

وكان ابن عمر يقول: الصلاة حسنة ما أبالي من شركني فيها.

وعن ابن جريج قلت لعطاء: أرأيت إماماً يؤخر الصلاة حتى يصليها مفرطاً فيها؟ قال:

أصلي مع الجماعة أحب إلي، قلت: وإن اصفرت الشمس ولحقت برؤوس الجبال؟ قال: نعم، ما لم تغب؛ قلت لعطاء: فالإمام لا يوفي الصلاة، أعتزل الجماعة معه؟ قال: بل صل معه، وأوف ما استطعت، الجماعة أحب إلي..

وعن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عقبة عن أبي وائل: أنه كان يجمع مع المختار الكذاب!

وعن أبي الأشعث قال: ظهرت الخوارج علينا فسألت يحيى بن أبي كثير، فقلت: يا أبا نصر، كيف ترى في الصلاة خلف هؤلاء؟ قال: القرآن إمامك، صل معهم ما صلوها؟

[3] إذا كان الإمام من ذوي البدع والأهواء، يستحسن هجران الصلاة خلفه - من قبل ذوي الهيئات والفضل والعلم - تعزيراً وتبكيتاً له عسى أن يردعه ذلك عن انحرافه وفجوره، شريطة أن يجدوا المسجد والجماعة الأخرى الأفضل التي يمكن أن يلتحقوا بها ويصلوا الصلوات معها، فإن انعدم المسجد البديل وخشوا على أنفسهم أن تفوتهم صلات الجماعة تعين عليهم الصلاة خلفه ولا بد.

وعـن إبراهيـم النخعـي قلـت لعلقمـة: إمامنـا لا يتـم الصلاة؟ قال علقمة: لكنا نتمها؛ يعني نصلي معه ونتمها.

وعن الحسن: لا تضر المؤمن صـلاته خلـف المنـافق، ولا تنفع المنافق صلاته خلف المؤمن.

وعن قتادة قلت لسـعيد بـن المسـيب: أنصـلي خلـف الحجاج؟ قال: إنا نصلي خلف من هو شر منه!

قال علي - أي ابن حزم -: ما نعلم أحداً من الصـحابة رضي الله عنهم امتنع من الصلاة خلف المختار، وعبيد اللـه بن زياد، والحجاج؛ **ولا فاسق أفسق مـن هـؤلاء**. وكـل هذا قول **أبي حنيفة، والشـافعي، وأبـي سـليمان)**. اهـ.

وقال ابن تيمية في الفتاوى 23/343: (كان الصحابة يصـلون خلـف الحجـاج، والمختـار بـن أبـي عبيـد الثقفـي، وغيرهما الجمعة والجماعة، فإن تفويت الجمعـة والجماعـة أعظم فساداً من الاقتـداء فيهمـا بإمـام فـاجر، لا سـيما إذا كان التخلف عنهما لا يدفع فجـوره، فيبقـى تـرك المصـلحة الشرعية بدون دفـع تلـك المفسـدة، ولهـذا كـان التـاركون للجمعة والجماعات خلـف أئمـة الجـور مطلقـاً **معدودين عند السلف والأئمة من أهل البدع**). اهـ.

قلـت: ممـا تقـدم يُعلـم فسـاد الأحكـام والاطلاقـات الجائرة التي يطلقها بعض المتسرعين مـن الشـباب - عـن جهل - على بيوت الله لمجرد علمهم بأن فيها إماماً مبتدعاً أو عنده بعض الانحرافـات.. بأنهـا مسـاجد الضـرار لا تجـوز الصــلاة فيهــا، فيــؤدي ذلــك بهــم إلــى تــرك الجمعــة والجماعات!!

* * *

<u>المسـألة السادسـة: هـل تجـوز الصـلاة فـي المسجد المجهول الحال، خلـف الإمـام المجهـول الحال؟</u>

أو بمعنى آخر هل يجب التحري عـن حقيقـة المسـجد قبل الصلاة فيه؛ هـل بنـي علـى الضـرار أم لا، وهـل إمـامه الراتب عقيدته صحيحة أم لا؟!

الجواب: تجوز الصلاة في المسجد المجهول الحال، خلف الإمام المجهول الحال، ولا يجوز التحري - كشرط للصلاة - عن المسجد وغاياته وبواعثه التي بني على أساسها ولأجلها، كما لا يجوز التحري عن عقيدة الإمام واختباره بأسئلة تعرف من هو.. فهذا الصنيع يُعتبر من البدع والتكلف الذي لم يكن سلفنا الصالح يفعله أو يراه جائزاً.

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى 23/351: (ليس من شروط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلي خلف مستور الحال.

وقول القائل لا أسلم مالي إلا لمن أعرف؛ ومراده لا أصلي خلف من لا أعرف، كما لا أسلم مالي إلا لمن أعرف، **كلام جاهل لم يقله أحد من أئمة الإسلام**، فإن المال إذا أودعه الرجل لا لمجهول فقد يخونه فيه، وقد يضيعه. وأما الإمام فلو أخطأ أو نسي لم يؤاخذ بذلك المأموم، كما في البخاري وغيره، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أئمتكم يصلون لكم ولهم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم"، فجعل خطأ الإمام على نفسه دونهم).

وقال رحمه الله 4/542: (وتجوز الصلاة خلف كل مسلم مستور **باتفاق الأئمة الأربعة** وسائر أئمة المسلمين، فمن قال: لا أصلي جمعة ولا جماعة إلا خلف من أعرف عقيدته في الباطن فهذا **مبتدع مخالف للصحابة والتابعين** لهم بإحسانٍ وأئمة المسلمين الأربعة وغيرهم). اهـ.

قلت: إذا كان الذي يقول لا أصلي جمعة ولا جماعة إلا خلف من أعرف عقيدته.. هو مبتدع ضال مخالف للصحابة والتابعين وجميع أئمة المسلمين، فمن باب أولى أن يُحمل هذا الحكم والوصف على من يقول لا أصلي الجمعة والجماعة إلا في المسجد الذي أعرف عقيدة ونوايا من قاموا على بناء المسجد وتأسيسه!!

أقول: هذا القول لا يقدم عليه إلا كل متنطع مبتدع متكلف أستهوته شذوذات وأهواء الخوارج الغلاة من قبل!

* * *

المسألة السابعة: مسجد يعتاده عناصر من المخابرات والجواسيس يعملون كأعين للطواغيت الظالمين، لغرض التجسس على عورات وأخبار المسلمين.. هل يكون المسجد بسبب ذلك ضراراً له أحكامه وصفاته؟

الجواب: لا يعتبر المسجد بسبب ما ذكر ضراراً، لأنه لم يتأسس على معنى من معاني مسجد الضرار الأول. ولو كانت المساجد بذلك تصبح ضراراً لما سلم مسجد على وجه الأرض إلا وكان ضراراً؛ لأنه وللأسف ما من مسجد - إلا ما ندر - إلا ويعج بالجواسيس الظالمين الذين يتجسسون على المسلمين المصلين لحساب الطواغيت!!

فالمساجد لا يحكم عليها على اعتبار ما يطرأ عليها من صفات وعوامل، وإنما على اعتبار البواعث والنوايا التي بنيت وأسست عليها ابتداءً ومن أول يوم، **وهذه قاعدة مطردة ينبغي إعمالها في كل مسجد يثار حوله الجدل والخلاف.**

وعليه فإن بناء الجاليات المسلمة - في بلاد الغرب - المساجد للاهتمام برعاياهم وأبنائهم، والمحافظة على إسلامهم وانتمائهم لهذا الدين، وتعليمهم اللغة العربية وغير ذلك من شؤون الدين.. فهذه المساجد كلها ليست ضراراً ولا يجوز أن يُحكم عليها بأنها مساجد ضرار، لأنها أسست على معانٍ شرعية صحيحة ولم تأسس على أي معنى من المعاني التي أسس عليها مسجد الضرار الأول.

والذي يتتبع الأخبار والبرامج التي تقام في هذه المساجد يجد فيها الخير الكثير لأبناء المسلمين،

كما يجد فيها الحلقات العلمية المتنوعة والنافعة، إضافة إلى إقامة الصلوات والجماعة. فكيف يمكن اعتبار هذه المساجد بأنها ضرار، وأنها أسست على معاني وأهداف مسجد الضرار؟!!

ونحوها المساجد التي تبنيها الجماعات والأحزاب والطوائف الإسلامية، وغيرها.. لا يجوز كذلك أن نحكم عليها "**بالكوم**" أنها كلها ضرار لا تجوز الصلاة فيها، من

دون النظر والتدقيق في البواعث والغايات من إنشاء كل مسجد من تلك المساجد، وهل منها شيء بني على ما بني عليه ولأجله مسجد الضرار الأول؟!

فليس من العلم ولا الفقه ولا التقوى والورع أن يقال ويشار إلى هذه المساجد كلها لكون القائمين عليها جاليات، وأحزاب، وجماعات إسلامية.. بأنها ضرار؟!!

كما أنه ليس من الظن الحسن الذي يجب أن يكون بالمسلمين، وبخاصة منهم الجماعات العاملة للإسلام.. أن يفترض فيهم ابتداءً أنهم يبنون مساجدهم من أجل الغايات والأهداف الهدامة والخطيرة التي بني لأجلها مسجد الضرار الأول.. فالظن فيهم ابتداءً ذلك يخرجهم عن كونهم ووصفهم جماعات تعمل للإسلام.. وهذا لا شك أنه من البغي والظلم والتعسف الذي لا تحمد عقباه ونتائجه.

قال تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم}** الحجرات: 12. وقال تعالى: **{إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس}** النجم: 23.

* * *

<u>المسألة الثامنة: هل تدخل الكنائس والبيع وغيرها من معابد المشركين في حكم الضرار؛ بحيث لا تجوز الصلاة فيها؟</u>

الجواب: مما خص الله به هذه الأمة أن جعل لها الأرض كلها طهوراً ومسجداً تصلح للسجود والصلاة إلا بعض المواضع استثنتها النصوص لا تجوز الصلاة فيها.

ولما الكنائس لم تبنى على قصد الضرار، ولم يأت النص الذي يفيد تحريم الصلاة فيها، نقول: يجوز الصلاة في الكنائس والبيع وغيرها من المعابد ما اجتنبت الأصنام والصلبان والتماثيل، والقبور التي تعبد فيها من دون الله تعالى، وهذا أمر لا يُعلم فيه خلاف بين أهل العلم.

قال ابن حزم في المحلى 2/400ـ (الصلاة في **البيعة، والكنيسة، وبيت النار**، والمجزرة - ما اجتنب البول والفرث والدم - وعلى قارعة الطريق، وبطن الوادي، ومواضع الخسف، وإلى البعير والناقة، وللتحدث،

والنيام وفي كل موضع جائزة، ما لم يأت نص أو إجماع متيقن في تحريم الصلاة في مكان ما؛ فيوقف عند النهي في ذلك.

عن أبي ذر قال: "قلت يا رسول الله، أي المساجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم حيثما **أدركتك الصلاة فصل، فهو مسجد**" متفق عليه.

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أبي هريرة، وجابر، وحذيفة، وأنس: أن من **فضائلنا أن الأرض جُعلت لنا مسجداً**.

وكل ما ذكرنا من الأرض، **فالصلاة فيه جائزة**، حاشا ما جاء النص من المنع من الصلاة فيه: **كعطن الإبل، والحمام، والمقبرة، وإلى قبر وعليه، والمكان المغصوب، والنجس، ومسجد الضرار فقط)**[4]. اهـ.

وقال القرطبي في كتابه الجامع 8/255:ـ (الكنيسة لم يقصد ببنائها الضرر بالغير، وإن كان أصل بنائها على الشر؛ وإنما اتخذ النصارى الكنيسة واليهود البيعة موضعاً يتعبدون فيه بزعمهم كالمسجد لنا فافترقا - أي الكنيسة ومسجد الضرار من حيث الحكم والباعث على البناء -

وقد أجمع العلماء على أن من صلى في **كنيسة أو بيعة** على موضع طاهر أن صلاته ماضية جائزة، وقد ذكر البخاري أن ابنً عباس كان يصلي في البيعة **إذا لم يكن فيها تماثيل**.

وذكر أبو داود عن عثمان بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يجعل مسجد الطائف **حيث كانت طواغيتهم)**. اهـ. أي حيث كانت أصنامهم التي تعبد من دون الله تعالى، وذلك بعد إزالتها وتطهير الأرض من رجسها.

قلت: إذا كانت الكنائس والبيع القائمة على الشرك لا تدخل في حكم ووصف مسجد الضرار، فكيف يليق بهؤلاء

[4] يمكن مراجعة الأدلة التي تفيد تحريم الصلاة في هذه المواضع في كتاب المحلى لابن حزم، وغيره من كتب الفقه.

المتسرعين أن يطلقوا أحكامهم الجائرة على مساجد يُعبد فيها الله تعالى وحده، وتقام فيها الصلوات والجماعات، وغير ذلك مما ينفع المسلمين وأطفالهم.. بأنها مساجد ضرار من غير بينة أو دليل سوى الجهل والظن؟!!

* * *

المسألة التاسعة: ما هي آثار الجرأة على بيوت الله تعالى والحكم عليها ظلماً وعدواناً بأنها ضرار؟!

الجواب: لا شك أن رمي بيوت الله ظلماً وعدواناً بأنها ضرار يترتب عليه آثار ونتائج خطيرة جداً، منها:

أولاً: ما ذكرناه من قبل من أنه يفضي إلى انتهاك جميع حرمات المسجد؛ بحيث تكون المزابل والأماكن التي تلقى فيها القمامات أشرف عنده وأفضل من المساجد - أحب الأماكن إلى الله تعالى وهو بذلك يُحمل عليه قوله تعالى: {**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمُه وسعى في خرابها**} البقرة: 114. فهو يسعى في خرابها علم بذلك أم لم يعلم.

ثانياً: مؤداه إلى هجر الناس للمساجد، وتركها للجمعة والجماعة في هذه المساجد الجامعة، فينعكس ذلك سلباً على دينهم وسلوكهم وأخلاقهم، وعبادتهم!

ثالثاً: حرمان الأطفال الاستفادة من البرامج المتنوعة والعديدة النافعة لهم الموجودة في تلك

المساجد، رغم حاجتهم الماسة لها وبخاصة الأطفال الذين يعيشون في ديار الغرب، والذي أكثرهم قد فقد اللغة العربية، فضلاً عن الجوانب الدينية الأخرى!

فيكون البديل لهؤلاء الأطفال الشوارع الفاسقة، والأندية الماجنة، والمكث الطويل أمام شاشات التلفاز المدمرة للخلق والقيم، فيشب الطفل ليصبح عدواً شرساً ضد دينه وأمته!

رابعاً: مؤداه إلى الفتنة ودب الفرقة والاختلاف بين المسلمين.. فما يراه فلان ضراراً يراه غيره على أنه بيت من بيوت الله تعالى يستحق التعظيم والتوقير!

وما يـراه فلان على أنـه مسـجد ضـرار يحـب هجـره وهدمه وحرقه.. يرى الآخر أنه بيـت مـن بيـوت اللـه تعـالى التي تقام فيه الصلوات والجمعة والجماعات، وهو رمز مـن رموز الإسلام التي يجب الذود عنها بالغالي والنفيس!

وهكذا فالناس ينقسمون إلى فريقين وربما إلى فِـرَق متعددة كلها مختلفة فيما بينها متناحرة ومتـدابرة، هـل هـذا المسجد ضرار أم أنه غير ضرار، هل له حرمة المسـاجد أم ليس له، وهكذا!

فمـن غايـات إزالـة مسـاجد الضـرار إزالـة الفرقـة وتحقيق الألفـة والمحبـة بيـن المسـلمين المـؤمنين.. وهنـا بسبب الأحكام الجائرة على بيوت الله بأنهـا ضـرار يتحقـق خلاف ذلك.. فأين المصلحة من وراء هذه الأحكام الجـائرة، ومن المستفيد منها، وفي خدمة من تصب؟!!

خامساً: مؤداه إلـى رمـي الإخـوان ورشـق بعضـهم البعض بعبارات التضليل والتبديع والتفسـيق.. فالـذي يـرى المسجد أنه ضرار يرمي المخـالف لـه بـالتفريط وأنـه مـن أهل مسجد الضـرار، وأنـه جاهـل لا يعـرف أحكـام مسـاجد ضرار، وأنه يكثر سواد أهل الضرار، ويعينهم على الضـرار.. وغير ذلك من قائمة الاتهامات الجارحة التي لا تكاد تنتهي.

وكذلك الذي لا يرى المسجد أنـه ضـرار لا يقصـر فـي حـق مخـالفيه فيطلـق بحقهـم عبـارات التبـديع والتجهيـل، والغلو وغير ذلك.. وهذا كله له ما له من نتائج سـلبية قاتلـة تنعكس على صـفاء القلـوب، بـل وعلـى العمـل الإسـلامي برمته، فتأمل!!

سادساً: ينتاب الذين يرون المساجد على أنها ضرار شعور شيطاني يميزهم عن بقية الناس؛ فهـم عرفـوا مـالم يعرفه غيرهم، وهم أشد حرصاً على التمسك بتعاليم الـدين الـتي جهلهـا غيرهـم، وهـم كـذلك أكـثر مـن غيرهـم كفـراً بالطـاغوت، وهـم وهـم.. وهـذا كلـه لـه لـذة فـي النفـوس الضعيفة القاصرة يحدثها لهم الشيطان ويزينهـا ويزخرفهـا، ليوقعهم بـالغرور والكـبر والـترفع علـى إخـوانهم.. فيـأتون بحسنة بزعمهم، ليأتوا مقابلها بسيئات مضاعفة!!

فـالإفراط والتفريـط كلاهمـا لهمـا لـذة فـي النفـوس الضعيفة مبعثها الشيطان.. ومن لا يفلح الشيطان معه مـن جهة الإفراط والغلو يأتيه من جهة التفريط والجفـاء، فأهـل

الإفراط والغلو يصور لهم الشيطان أن بيدهم مفاتيح النار يمكن أن يدخلوا فيها من يشاءون ممن يخالفهم أو يخالف اعتقادهم، وأنهم كذلك بجرة قلم يمكن أن يحولوا المسجد إلى ضرار يمنعون الناس من دخوله ومن التعبد فيه.. فهم يملكون عصا التكفير والتخليد في النار يخوفون بها العباد ويهزونها لكل مخالف لا يروق لهم؛ وفي ذلك تحصل لهم نشوة لا تعلوها نشوة، وبخاصة إذا لاحظوا أن الناس الجهلاء يخشونهم ويرجون منهم أن لا يكفروهم أو يخلدوهم في نار جهنم!!

أما أهل التفريط والجفاء والإرجاء فهم على عكس ذلك حيث يصور لهم الشيطان أن مفاتيح الجنة بيدهم، وأنهم بإمكانهم أن يدخلوا من يشاءوا من العباد في الجنة، وفي رحمة الله عز وجل، وبخاصة إذا وجدوا الجهلاء من الناس يرجونهم - بالعطايا السخية وغير ذلك - أن يخلدوهم في الجنة وأن يحكموا لهم أنهم من أهلها بيقين، وأن يحدثوهم عن رحمة الله التي تسعهم وتسع ذنوبهم، وأنهم مغفور لهم بيقين.. فهذا كذلك يحدث لديهم نشوة عظيمة توازي نشوة إخوانهم من أهل الغلو والتفريط نعوذ بالله منها ومن أهلها ومن نشواتهم الشيطانية.. ونبرأ إلى الله تعالى من أهل الإفراط والتفريط سواء، ومن شذوذاتهم وانحرافاتهم، وأخلاقهم، ومن أن نتألى عليه تعالى بشيء بغير علم.. كما ونسأله تعالى أن يلهمنا الوسطية الحنيفية السمحة ملة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا ونبينا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد المنعم مصطفى حليمة؛ أبو بصير
1/5/1421 هـ

منبر التوحيد والجهاد
sw.dehwat.www
moc.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www